مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمداً رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام بغرفة تُطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام : شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء طبعه ، واني لفي زيارته في يومٍ من الايام اذ مرَّت بالشارع صِرْمة من الإبل يحدوها فتى أعرابي ، فوقعت عين السيد الشبيبي على تلك الإبل فانحدرت دموعه على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكني لم اسأله عن بكائه ، ولم يستطع ان يكتم سبب البكاء ، فقال : أتعرف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الإبل ، ذكرت العراق وإبل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئاً ذا بال فله رأيه ، غير اني لا استطيع ان امرَّ بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلةً قوية بشاعرية السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رقته من ان يكون ديوانه مرآة صادقةً تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب فيه من آلام .

وسواء أكانت هذه المرآة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه البحتري وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في زمننا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لهم : طالعوا ديوان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حيًا ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه رضيتُ بسيط القول لم أتأنق

ولماذا لا اذكر نموذجًا من هذا الشعر :

يا راكبين الى دمشق تزودوا منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها ولرائديها مَربع ومَراد
وهل الرُّبا حالٍ ضواف طُرِّزت وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف خضرُ الأديم ، وفوِّفت أبراد
بين الغصون ومن مشين تشابه في الحال ، كلّ مورق ميّاد
تلك القصور كأنهن قلائد فوق الشطوط كأنها اجياد
أو ما تزال على معاهد جلقٍ ترد الضيوف وتصدر الورّاد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربيًا عليه آثار بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة في هذا الأسلوب ولا رطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net